بسم الله الرحمن الرحيم

٦٤ — سورة التغابن

مكية ، على ما يظهر من أمثالها لمن سبر . وقيل : مدنية . وآيها ثمان عشرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

[٢] (هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ، وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

« يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ » أى ملك السموات والأرض، ونفوذ الأمر فيهما « وَلَهُ ٱلْحَمْدُ » أى الثناء الجميل، لأنه مولى النعم وموجدها « وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ » أى هو الذى انفرد بإيجادكم فى أحسن تقويم ، قابل للكمالات العلمية والعملية ، ومع ذلك فمنكم مختار للكفر ، جاحد للحق ، كاسب له على خلاف ماتستدعيه خلقته . ومنكم مختار للإيمان ، كاسب له ، حسبما تقتضيه خلقته . وكان الواجب عليكم جميعاً أن تكونوا مختارين للإيمان، شاكرين لنعمة الخلق والإيجاد ، وما يتفرع عليها من سائر النعم . فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه ، بل تشعبتم شعباً ، وتفرقتم فرقاً . وتقديم الكفر ، لأنه الأغلب فيما بينهم ، والأنسب بمقام التوبيخ ـ أفاده أبو السعود ـ « وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » أى فيجازيكم به ، فآثروا مايجديكم ، وجانبوا مايرديكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣] (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ، وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ)

« خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ » أى بالحكمة البالغة التى ترشد إلى المصالح الدينية والدنيوية « وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ » أى حيث برأكم فى أحسن تقويم . وذلك أنه تعالى جعل الإنسان معتدل القامة على أعدل الأمزجة . وآتاه العقل وقوة النطق ، والتصرف فى المخلوقات ، والقدرة على أنواع الصناعات « وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ » أى مرجعكم للجزاء .

القول فى تأويل قوله تعالى:

[٤] (يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ، وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)

«يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ » أى بخفاياها ، وما تنطوى عليه . وفيه تقرير لما قبله ، كالدليل عليه . لأنه إذا علم السرائر ، وخفيات الضمائر ، لم يخف عليه خافية من جميع الكائنات .

قال الزمخشرىّ : نبه بعلمه ما فى السموات والأرض ، ثم بعلمه مايسرّه العباد ويعلنونه، ثم بعلمه ذوات الصدور، أن شيئاً من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ، ولا عازب عنه؛ فحقه أن يتقى ويحذر ، ولا يجترأ على شىء مما يخالف رضاه . وتكرير العلم ، فى معنى تكرير الوعيد . وكل ما ذكره بعد قوله تعالى : (فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ) كما ترى ، فى معنى الوعيد على الكفر ، وإنكار أن يعصى الخالق ، ولا تشكر نعمته . انتهى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٥] (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

[٦] (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ ، وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ، وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ)

« أَلَمْ يَأْتِكُمْ » أى معشر الكفرة الفجرة « نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ » أى كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط « فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ » من عذاب الاستئصال . و (الوبال) الثقل ، والشدة المترتبة على أمر من الأمور . و (أمرهم) كفرهم ، عبر عنه بذلك ، للإيذان بأنه أمر هائل ، وجناية عظيمة « وَلَهُمْ » أى فى الآخرة « عَذَابٌ أَلِيمٌ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا » أى ذلك المذكور من ذوقهم وبال أمرهم فى الدنيا ، وما أعد لهم من عذاب الأخرى ، بسبب أنه أتتهم رسلهم بالواضحات من الأدلة والأعلام ، على حقيقة ما يدعونهم إليه ، فنبذوها ، واتبعوا أهواءهم ، واستهزأوا برسلهم ، وقالوا : أبشر يهدوننا ؟

قال ابن جرير[1] : استكباراً منهم أن تكون رسل الله إليهم بشراً مثلهم ، واستكباراً عن اتباع الحق من أجل أن بشراً مثلهم دعاهم إليه . وجمع الخبر عن البشر فقيل (يهدوننا) ، ولم يقل (يهدينا) ، لأن (البشر) وإن كان فى لفظ الواحد ، فإنه بمعنى الجميع . انتهى .

وقال القاشانىّ . لما حجبوا بصفات نفوسهم عن النور الذى هو به يفضل عليهم بما لا يقاس ، ولم يجدوا منه إلا البشرية ، أنكروا هدايته . فإن كل عارف لا يعرف معروفه إلا بالمعنى الذى فيه ، فلا يوجد النور الكمالىّ إلا بالنور الفطرىّ ، ولا يعرف الكمال إلا الكامل ،

(١) انظر الصفحة رقم ١٢١ من الجزء الثامن والعشرين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

ولهذا قيل : لا يعرف الله إلا الله . وكل طالب وجد مطلوبه بوجهٍ ما دالًا لما أمكن به التوجه نحوه . وكذا كل مصدق بشيء ، فإنه واجد للمعنى المصدق به، بما في نفسه من ذلك المعنى . فلما لم يكن فيهم شيء من النور الفطريّ أصلًا ، لم يعرفوا منه الكمال فأنكروه، ولم يعرفوا من الحق شيئاً ، فيحدث فيهم طلب ، فيحتاجوا إلى الهداية ، فأنكروا الهداية .

« فَكَفَرُواْ » أي : بالحق والدين والرسول « وَتَوَلَّواْ » أي عن التدبر في الآيات البينات ، « وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ » أي : أظهر استغناءه عن إيمانهم وطاعتهم ، حيث أهلكهم وقطع دابرهم ، ولولا غناه تعالى عنهم لما فعل ذلك . فـ (استغنى) معطوف على ماقبله ، وجوز جعله حالًا بتقدير (قد) . أي : وقد استغنى بكماله ، عرفوا أو لم يعرفوا .

« وَٱللَّهُ غَنِىٌّ » أي : بذاته عن العالمين، فضلًا عن إيمانهم، لايتوقف كمال من كمالاته عليهم ، ولا على معرفتهم له . « حَمِيدٌ » أي: يحمده كل مخلوق، أو مستحق للحمد بنفسه، وإن لم يحمده حامد .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٧] (زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ، قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ، وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ)

« زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ » أي من قبوركم « ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ » أي في الدنيا « وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ » أي هين لقبول المادة، وثبوت القدرة الكاملة .

قال ابن كثير: وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه عز وجل، على وقوع المعاد ووجوده . فالأولى في يونس[١] : (وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ، قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ) والثانية في سبأ[٢]: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ، قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ) والثالثة هذه الآية .

---

(١) [١٠ / يونس / ٥٣] . (٢) [٣٤ / سبأ / ٣] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨] (فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ، وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

« فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ » أى إذا كان الأمر كذلك، فآمنوا بالله وحده وبرسوله فيما يخبركم به من البعث والجزاء وغيره « وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا » يعنى القرآن الحكيم . والالتفات إلى نور العظمة ، لإبراز كمال العناية بأمر الإنزال « وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٩] (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ، ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ، وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ، ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ)

« يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ » ظرف لـ (تُنَبَّؤُنَّ) أو لـ (خَبِيرٌ) لما فيه من معنى الوعيد . كأنه قيل : والله مجازيكم يوم يجمعكم ، أو مفعول لـ (اذكر) « لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ » أى ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون . أى لأجل ما فيه من الحساب والجزاء « ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ » قال الزمخشرىّ : التغابن مستعار من تغابن القوم فى التجارة ، وهو أن يغبن بعضهم بعضاً ، لنزول السعداء منازل الأشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ، ونزول الأشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء . وفيه تهكم بالأشقياء لأن نزولهم ليس بغبن . انتهى .

ومما حسن إطلاق التغابن على ما ذكر ، وورود البيع والاشتراء فى حق الفريقين . فذكر تعالى فى حق الكافرين أنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، واشتروا الضلالة بالهدى، وذكر أنهم ما ربحت تجارتهم ، فكأنهم غبنوا أنفسهم . ودل المؤمنين على تجارة رابحة فقال[1] (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ ...) الآية ، وذكر أنهم باعوا أنفسهم بالجنة . فخسرت صفقة الكفار ، وربحت صفقة المؤمنين .

(١) [٦١ / الصف / ١٠] .

وقال القاشانيّ : أي ليس التغابن فى الأمور الدنيوية ، فإنها أمور فانية سريعة الزوال ، ضرورية الفناء ، لا يبقى شيء منها لأحد . فإن فات شيء من ذلك ، أو أفاته أحد ، ولو كان حياته ، فإنما فات أو أُفيت ما لزم فواته ضرورة ، فلا غبن ولا حيف حقيقة ، وإنما الغبن والتغابن فى إفاتة شيء لو لم يفته لبقى دائماً ، وانتفع به صاحبه سرمداً ، وهو النور الكمالىّ والاستعدادىّ ، فتظهر الحسرة والتغابن هناك ، فى إضاعة الربح ورأس المال فى تجارة الفوز والنجاة ، كما قال[1] (فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ) فمن أضاع استعداده ونور فطرته ، كان مغبونا مطلقا ، كمن أخذ نوره وبقى فى الظلمة . ومن بقى نور فطرته ولم يكتسب الكمال اللائق به الذى يقتضيه استعداده ، أو اكتسب منه شيئاً ، ولم يبلغ غايته ، كان مغبوناً بالنسبة إلى الكامل التام ، فكأنما ظفر بذلك الكامل بمقامه ومرامه ، وبقى هذا متحيراً فى نقصانه . انتهى « وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٠] (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ، وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ)

[١١] (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ، وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ، وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ)

« وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ » أى بقدره ومشيئته ، كقوله فى آية الحديد[2] (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ

(١) [٢ / البقرة / ١٦] . (٢) [٥٧ / الحديد / ٢٢] .

أن نبرأها) . « وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ » أى إلى العمل بمقتضى إيمانه، ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير. «وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ » أى فيعلم مراتب إيمانكم، وسرائر قلوبكم ، وأحوال أعمالكم وآفاتها ، وخلوصها من الآفات .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٢] (وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ، فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ)

[١٣] (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ)

«وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ» أى لما أرسل به ، والله سبحانه ولىّ الانتقام ممن عصاه ، وخالف أمره « ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ » قال ابن كثير: الأول خبر عن التوحيد ، ومعناه طلب . أى وحدوا الإلهية له، وأخلصوها لديه ، وتوكلوا عليه، كما قال[١] (رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٤] (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ، وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ » خطاب لمن آمن بالنبىّ ﷺ، وكان له من أزواجهم وأولادهم من يعاديهم لإيمانهم، ويؤذيهم بسببه . فكان ذلك يغيظهم ، وربما يحملهم على البطش بهم . فأمروا بالحذر من فتنتهم

(١) [٧٣ / المزمل / ٩] .

وشركهم فحسب ، وأن يظهروا فيهم بمظهر أولى الفضل. كما قال : « وَإِن تَعْفُواْ » أى: عن ذنوبهم ، « وَتَصْفَحُواْ » أى : بترك التثريب والتعيير « وَتَغْفِرُواْ » أى جناياتهم بالرحمة لهم ، « فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » أى يعاملكم بمثل ماعملتم .

روى ابن جرير(١) عن إسماعيل بن أبى خالد قال : كان الرجل يُسلم فيلومه أهله وبنوه ، فنزلت الآية .

وعن ابن عباس(٢) قال : كان الرجل إذا أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة تمنعه زوجته وولده ، ولم يألوا يثبطونه عن ذلك ، فقال الله : إنهم عدوّ لكم فاحذروهم واسمعوا وأطيعوا ، وامضوا لشأنكم . فكان الرجل بعد ذلك إذا منع وثبط ، مرّ بأهله وأقسم ليفعلن وليعاقبن أهله فى ذلك ، فقال الله جل ثناؤه: (وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ) ، الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٥] (إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ، وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ)

« إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ » أى: تفتتن بهما النفس، ويجرى عليها البلاء بهما ، إذا أوثرا على محبة الحق .

« وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ » أى لمن آثر طاعة الله ومحبته عليهما .

روى ابن جرير(٣) عن الضحاك قال : هذا فى أناس من قبائل العرب. كان يسلم الرجل أو النفر من الحىّ ، فيخرجون من عشائرهم ، وَيَدَعُون أزواجهم وأولادهم وآباءهم عامدين إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فتقوم عشائرهم وأزواجهم وأولادهم وآباؤهم فيناشدونهم الله

(١) انظر الصفحة رقم ١٢٦ من الجزء الثامن والعشرين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

(٢) انظر الصفحة رقم ١٢٤ من الجزء الثامن والعشرين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

(٣) انظر الصفحة رقم ١٢٥ من الجزء الثامن والعشرين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

أن لايفارقوهم ، ولا يؤثروا عليهم غيرهم ، فمنهم من يرقّ ويرجع إليهم ، ومنهم من يمضى حتى يلحق بنبىّ الله ﷺ .

وعن مجاهد : يحمل الرجل ماله وولده على قطيعة الرحم ، أو معصية ربه ، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه به . فلذلك وعد فى إيثار طاعة الله، وأداء حق الله فى الأموال، الأجر العظيم، وهو الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٦] ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

« فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ » أى جهدكم ووسعكم ، أى ابذلوا فيها استطاعتكم ، « وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ » أى افهموا هذه الأوامر واعملوا بها « وَأَنفِقُواْ » أى أموالكم التى ابتلاكم الله بها فى مراضيه « خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ » أى وائتوا خيراً لأنفسكم . أى اقصدوا فى الأموال والأولاد ماهو خير لكم . فـ (خيراً) مفعول بمقدر ، وهذا قول سيبويه ، كقوله تعالى[١] (ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ) وقيل: تقديره يكن الإنفاق خيراً، فهوخبر (يكن) مضمراً، وهو قول أبى عبيد . وقيل: مفعول لـ (أنفقوا) وهو رأى[٢] ابن جرير . قال : أى وأنفقوا مالًا من أموالكم لأنفسكم تستنقذوها من عذاب الله، والخير فى هذا الموضع ، المال « وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ » أى بالعصمة منه « فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » أى المنجحون الذين أدركوا طلباتهم عند ربهم .

---

(١) [٤ / النساء / ١٧١] .

(٢) انظر الصفحة رقم ١٢٧ من الجزء الثامن والعشرين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٧] (إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ)

[١٨] (عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)

«إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» أى بالإنفاق فى سبيله، ماتحبون من غير منّ ولا أذى. قال الزمخشرىّ : ذكر (القرض) تلطف فى الاستدعاء «يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ» أى يضاعف جزاءه وخلفه «وَيَغْفِرْ لَكُمْ» أى ذنوبكم بالصفح عنها «وَٱللَّهُ شَكُورٌ» أى ذو شكر لأهل الإنفاق فى سبيله، بحسن الجزاء لهم على ما أنفقوا «حَلِيمٌ» أى عن أهل معاصيه، بترك معاجلتهم بعقوبته. «عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ» أى ما يغيب عن أبصار عباده وما يشاهدونه «ٱلْعَزِيزُ» أى الغالب فى انتقامه ممن خالف أمره ونهيه «ٱلْحَكِيمُ» أى فى تدبيره خلقه، وصرفه إياهم فيما يصلحهم .